والشراب فقد كان مشغولاً بأمور أهم من هـذا العبث الصبيانى الذى تمادى فيه أقرانه ولداته مـن سـكان البصرة ممـن لم يكن لهم شأن بـعد ذلك ولم نسمع بهم .

وتلك المرحلـة الثانية التى يتسم فـيها الإنسان بالوقار والنـضج والحلم هى مرحلة ما بعد الأربعين ، وهى تلك المرحلة التى يقول عنها الخليل فى منظومته النحوية (البيت ١٨٤) :

قـطنـي وقدنـى من مـجالـسة الأولـى ∴ قد أتعـبوا بدنى الضـعيف [1] وأنصبوا

والخليل نفسه كان يقول [2] : « أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهنًا إذا بلغ أربعين سنة ، وهى السـن التى بعث الله تعالى فيها محـمدًا ﷺ ، ثم يتغير وينقـص إذا بلـغ ثـلاثًا وسـتين سنـة ، وهـى السـن التـى قـبـض فيها رسـول الله ﷺ ، وأصفى ما يكون ذهن الإنسان فى وقت السحر » .

هذه هى صورة الخليل العاقل الحليم الوقور الحكيم الذى كان يقول الحكمة فى شعره ونثره ، بل حتى فى تصرفاته كـان حكيماً مع أصدقائه وأساتذته عند محاورته أو حتى سكوته ، وقد جاءت بعض الـنماذج فى قصيدته النحوية دالة على ذلك . عندما يقول فى البيت ٢٥٩ :

لا خيـر فى رجـل يعـرض نفـسه ∴ للذم لا . لا خـير فيمن يـغضب

أو حينما يقول فى البيت ٢٨٨ :

. . . . . ∴ كـل امرئ إن عـاش يومًا يـنكـب

---

(١) لاتعنى « بدنى الضعيف » شحوب الوجه وتشقق القدمين وتمزق الثياب .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٢٤٥ .